Issn: 2572-0023

أوضاع شمال إفريقيا مع بداية الاحتلال الروماني

د/عبد الحميد عمران
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

خضعت قرطاجة للاحتلال الرومان عام (146ق م)، وأصبحت المنطقة هدفًا للتوسع وبسط الهيمّنة الرومانية على المناطق الجنوبية لحوض البحر المتوسط، وهذا ما جعل الأطماعَ الرومانية تتزايد ورغبتها في السيطرة تتأجج من خلال صراعٍ دام قرنًا كامِلا وأنتهي لصالح روما التي استخدَمت أسلوبَ التريثِ ووسيلةَ التحالفِ في البداية لِجهلها بدوَاخل المنطقة، وتركيبتها القبليّة الاجتماعية. وبانتهاج سياسة المهادنة مع السكان تَجنبَ الرومان الاصطدام معهم منذ البداية وسرعان ما تم استغلال التركيبة القبليّة لإقامة تحالفات وإثارة القبائل ضِد بعضها البعض، لتسهُل عملية السيطرة عليها. لتبدأ مرحلة جديدة بظهور هذا المحتل الجديد الذي بدأ في استغلال كل ما يدر عليه فائدة، ويعادي كل من يقف ضد تحقيق هذا الغرض، ولنا أن نتساءل عن الوضع في شمال إفريقيا العام وما مدى خضوعه لذلك؟ وما هي الأساليب المستخدمة من قبل الرومان لتوجيه الاقتصاد وإخضاع المجتمع بمكوناته الثقافية والدينية لأجل ذلك؟

1- الأوضاع العامة في شمال إفريقيا مع بداية الاحتلال الروما

بدأت روما اتصالها بالمنطقة بربط اقتصاد المنطقة بالاقتصاد الروماني [1]خاصة وأن شمال إفريقيا تُمثل أرضا إضافيةً غنيّة بالخيرات المستديمة، من مزروعات ومعادن وعبيد، إذ أن القمح الأفريقي كان من أفضل القموح المنتجة للدقيق، وأكثرُها صلابةً وثقلا [2]. والأرض الأفريقية ذات مردوديّة جيدة [3]. وارتبطت السيطرة الرومانية بمصادرة الضيّاع واغتصاب الأملاك والأراضي الزراعية الخاضِعة للسيطرة العسكرية [4]. مُستخدمة مَنهج التدرُج في إخضاع المناطق، وانتزاع الأراضي من مُلاكها، وتسليمها للمعمرين الوافدين.

وبعدما أخضع الاستعمار الروماني المنطقة سياسيًا بَدأ في ضَربِ مُقوماتها الاقتصادية والاجتماعية من خلال تفكيك الوحدةِ القبليّة، وخلق طَبقة جديدة تملكُ الثروةَ العائدة من الأرض، وصار الانتماءُ الاجتماعيُ يقومُ على أساسِ الإنتاجِ والعامل التجاري. وبدأت تنتشر العبوديةُ من قبل الملاكين الجُدُد وهذا التنظيم الطبقي أعطتهُ روما المكانةَ الأولى على حساب الوحدة القبلية التي كانت تُمثِل وحدةً اقتصاديةً وسياسيةً وعسكريةً، وتمكنت الطبقةُ الجديدةُ المالكة من تمويل الجيش لتحافظ على استمرار سيطرتها ومصالح المجتمع الأرستقراطي.

1-PLINE l’ancien, XVIII،35.

2-شنيتي (محمد البشير)" التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية"، مجلة الأصالة، العدد، 41، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1977، ص. 2.

3PLINE l’ancien, histoire Naturelle, t V, édit, Rackhan, leod classical, Library, 1938, XVIII, 63.

4-STRABON, Géographie, traduit Amedeé tradien, édit Hachette, Paris,1880, XVII,3 ,1

2- ارتباط حركة التوسع والاستيطان الروماني "بيوليوس قيصر"

بدأت حركةُ التوسُع الاستيطاني عام ستٍ وأربعين قبل الميلاد، وذلك بإقامة إمارةَ المُرتزقة التابعين "لسيتيوس" [1] .من خلال إنشاء عدة مستوطنات زراعية نموذجية في المنطقة التي استقروا بها، مُكونين ما يعرف بالاتحاد السيرتي[2]، وفي صيف عام 46 ق م ظهرت الولاية الرومانية الثانية، والتي سوف تعرف باسم أفريقيا الجديدة [3]. وكان ذلك بعد انتصار

1 بعد انتصار قيصر على أعدائه في أفريقيا، استقدم المغامر الإيطالي" سيتيوس" ، الذي كان يقود عصابة من المرتزقة في البحر المتوسط ، وتمكن هذا المغامر مع"بكوس الثاني" من اقتحام سيرتا ، وذلك رغبة منهم في اقتسام المغانِمَ التي وعدهم بها قيصر في حال انتصاره على بقايا البومبيّين وحليفهم" يوبا الأول"، والذي كان يُجابه جيش قيصر في معركة" رأس الداموس" بالساحل التونسي .ومُنِح هذا المغامر سنة 46 ق .م.الركنَ الشمالي الشرقي لنوميديا حيث أسس إمارته، لمزيد من المعلومات أنظر :- غانم (محمد الصغير)، المرجع السابق، ص .ص، 25 –27؛ وكذا شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984، ص. 186.

-CHARRIER(Louis),« SITTIUS », R.S.A.C.,N°,09,1895-1896,p.310.

2 الاتحاد السيرتي يتألف من المنطقة الشمالية الشرقية لنوميديا ويضُم " روسيكادا" و"شولو" و"ميلاف" و"قرتن "(سيرتا). لمزيد من المعلومات أنظر: – غانم (محمد الصغير)، المرجع السابق، ص .27.

3 أفريقيا الجديدة أنشأها قيصر في صائفة 46 ق. م. كولاية رومانية ثانية في بلاد المغرب القديم واحتلت مكانة نوميديا الشرقية، وعين على رأسها أحد المتحيزين له وهو المؤرخ "سالستيوس" برتبة نائب قنصل، وأعطاه كل الصلاحيات. لمزيد من المعلومات أنظر: – عثمان (أحمد)، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، حتى نهاية العصر الذهبي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص ،190؛ غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص .28-29.

"يوليوس قيصر"[1] على أعدائه البومبيّين[2]ويوبا الأول[3] لتنطلق بعد ذلك حملة احتلال استيطاني أخذ يمتدُ نحوَ موريطانيا [4]. مما يعني أن هذه الأراضي الواقعة خارج روما تعد أرضًا للأعداء المهزومين[5]. ولذلك بدأت تظهر الإقطاعيات الزراعية الهامة لحماية ظهر

1 يوليوس قيصر"، ولد حوالي سنة 100 ق.م. واغتيل في مجلس الشيوخ بتاريخ 15/ 03/ 44 ق. م، كان قائدًا عسكريًا وسياسيًا. حقق انتصارات عسكرية وصار أعظم قائد شهدته روما، ليصبح ديكتاتورًا لمدى الحياة إلى أن اغتيل، كما كان يتمتع بشخصية قوية متفردة في عالم السياسة وحاول أن يبرز فتوحاته على أنها وسائل وقائية لحفظ الأمن. لمزيد من المعلومات أنظر: – عثمان (أحمد)، المرجع السابق، ص. ص .199– 200.

2 "البومبيّون ينتسبون إلى القائد "بومبي". والذي أرسله الديكتاتور "سيلا" في أواخر عام 82 ق. م. إلى المغرب القديم للقضاء على ما تبقى من أنصار غريمه "ماريوس"المتوفى سنة 84 ق. م، وقام قيصر بإرسال القائد "كيريون" إلى المغرب القديم للقضاء على البومبيّين الذين كانوا يدافعون عن أهداف مجلس الشيوخ الأرستقراطي، لمزيد من المعلومات أنظر: – غانم (محمد الصغير)، المرجع السابق، ص ص.18–24.

3 "يوبا الأول" ابن "هيمبصال" فرض نفسه على رؤساء القبائل وقام بحملات ضد الذين كانوا يرفضون سُلطته. كما تنازع مع جيرانه المُور واختار جانب البومبيّين ضد قيصر. قضى على "كيريون"الذي كان يدعو إلى إلحاق نوميديا بروما بعد أن أجبره على التخلي عن حصار" أوتيكا" وتعاظم دورُه أكثر في نظر الرومان. أراد أن يكون مستقلا أمام البومبيّين ولم يرضى بأن يحارب معهم إلا كشريك. رافضا الخضوع للقائد الروماني ونظرا لنزعته الاستقلالية فإن مجلس الشيوخ القيصري اعتبره عدوًا وفكر في الهجوم على نوميديا. كما حارب جيش" سيتيوس" و"بوكوس" والذين توحدّا ضده وتمكن" يوبا" من إبعاد جيش" سيبيون" ثم جاء قيصر على رأس عشرة فيالق. وكان" يوبا" يسعى للحفاظ على مملكته. ولكن معركة" ثابسوس" كانت الفيصل وانتصر قيصر وهاجم سيرتا. لمزيد من المعلومات أنظر: – CESAR, la guerre d'Afrique, traduit, A. BOUVET, «les belles lettres», Paris, 1947, XXV- XXVI,24,et suiv.

4 موريطانيا مصطلح جغرافي مشتق من كلمة" المور"، والتي تعني مناطق غروب الشمس، ويذكر سترابون بأن أنهار"الموروزي" (Maurousie) كانت مغذية للتماسيح وحيوانات أخرى مشابهة لها توجد بنهر النيل، مما يدل على وفرة المياه بالمنطقة. للمزيد أنظر: STRABON, XVII, 3,4.

5 -TITE-LIVE, histoire romaine, collection des Auteurs Latin's, direction (M.) Nisard, Dubochet et Compagnie éditeurs, Paris, 1839, VII,31.

الولاية الرومانية القديمة المسماة "بأفريكا فيتوس" [1]. وذلك على طول السواحل وابتداء من "أمساجا "(الوادي الكبير) إلى" كارتيناو" "تنس الحالية".

وبخُلو العرش الموريطاني ما بين سنتي (25-33 ق. م.) من الزعامة السياسية بعد وفاة "بوكوس الأصغر" (الثالث) عام 33 ق.م [2]. انطلقت حركة الاستيطان وبدأ تدفق المهاجرين الإيطاليين الذين ساء ت أحوالُ معيشتهم في إيطاليا وضايقتهم هناك الإقطاعيات الكبرى للأرستقراطية الرومانية [3]. وذلك بعدما أنشأ الرومان في سنة 42م ولايتين موريطانيتين تمثلتا في"موريطانيا القيصرية" و"موريطانيا الطنجية" [4].

وكان الجغرافيون الرومان يعتقدون بأن موريطانيا تمثل منبع نهر النيل ومصدر مياهه.[5] وذلك فيما نعتقد لِمَا لاحظوه من ثلوج تكسو جبال الأطلس. والذي يعد مصدرا

1 أسس الرومان ولاية" أفريكا الرومانية «، على تراب قرطاجة القتيلة عام 146 ق. م، ثم أخذت أسم" أفريكا فيتوس" وصار يديرها مجلس الشيوخ منذ عهد "أكتافيوس" ما بين (30 ق. م. و 14 م)، لمزيد من المعلومات أنظر: - شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب...ص. 65.

2 بعد وفاة الملك الموريطاني " بوكوس" عام33 م تمكن "أكتافيوس" من حكم المملكة بواسطة عاملين وانتهز فرصة الفراغ السلطوي لإنشاء المستعمرات لاستقبال الجنود المسرحين في كل من «إيجيجلي"و" صلداي" ومستعمرات أخرى في العديد من المناطق ضمّت كلها الجنود المسرحين، واختار لها الأماكن بشكل جـيد كالموقع بالقرب من الحواضر والخصوبة الجيدة، لمزيد من المعلومات أنظر: - قداش(محفوظ)، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة عباد صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص.115.

3 شنيتي (محمد البشير)، "التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية"...ص.13.

4 نفسه، ص .13.

5 - GSELL) Stéphane) , Textes relatifs à l’histoire de l’Afrique du Nord HERODOTE, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1915, p. 223.

يمد الأودية بكميات كبيرة من المياه حتى في فصل الصيف. مما يدل على حصانّة المنطقة ووعورتها ومن ثمة صعوبة اختراقها.

وفي هذه المناطق الجبلية يكثر السكان، ومنها جبل درعة الذي يطل على أجزاء كثيرة من البلاد، وهو قليل الثنايا والمسالك في ناحيته الغربية[1]. وهي جبال شاهقة تظهر بعد اجتياز مضيق هرقل، وتسمى عند الإغريق بجبال الأطلس ،وعند الأهالي بجبال "دريس" [2]. وجبل الأطلس عال ومغطى بالثلوج في فصل الصيف كما في فصل الشتاء، ويقول عنه السكان الأهالي بأنه مركبة الآلهة. ويوجد هذا الجبل بعد عشرة أيام سير باتجاه الغروب [3]، من منطقة "تريتون" في ليبيا.

وفيما نعتقد فإن لهذه الطبيعة الجبلية دور كبير في التكوين النفسي الانعزالي للسكان وعدم تفتحهم على الأجنبي. وهذا ما أكدّه الجغرافي سترابون [4] :-" من أن الرحالة الأجانب لم يرتادوا إلا جزءا قليلا من البلاد –وحسبه– أن الأهالي لم يزوروا هؤلاء الأجانب إلا نادرا، وأنهم لا يرغبون في الإدلاء بكل شيء عن بلادهم، ولا يمكن أن يوثق في كل ما يقولون".

وتم تقسيم المنطقة إلى مقاطعات تمتد من الوادي الكبير شرقا إلي الغرب الذي يسكنه الموريون [5]. وتجدر الإشارة في هذا الصدد بأن عملية السيطرة والإخضاع لم تكن شاملة

1 ابن خلدون (عبد الرحمان)، مقدمة لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت،2000، ص.47.

2-STRABON, XVII, 13,2.

3 GSELL(St.) , HÈRODOTE, CLXXXIV, 23.

4 -STRABON, XXI 5,33.

5 شنيتي(محمد البشير) ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب...ص.162.

وكليّة بدليل انتشار الاضطرابات والفتن في المغرب القديم كرد فعل عن عمليات الغزو والتوسع ومع وجود جماعات قبليّة ظلّت متماسكة عرقيا منذ أمد بعيد، حيث لاحظ الرحالة "هيرودوت"[1]. في القرن الخامس قبل الميلاد بأنه في إحدى القبائل الليبية، وفي حال الحرب: "فإن النساء يقمن بقيادة عربات القتال". دلالة على التماسك الاجتماعي.

وبالنظر إلى طبيعة المغرب القديم فإن التوسع الروماني يكون قد انتشر في المناطق السهلية دون المناطق الجبلية والوعرة. واستمر النوميديون[2]، في صراعهم ضد الرومان من أجل استرداد أراضيهم وقادوا العديد من المقاومات والتي تجاوز الكثير منها إطاره الجغرافي ليشمل المنطقة كلها[3]. ومن ثمة اصطدم المَد الروماني بمقاومات عنيفة، وبحركة تذمر واسعة، أدت خطورتها على الرومان إلى الحد الذي دفعهم إلى التفكير في خطة عسكرية قوية تمكنهم من السيطرة الشاملة على المنطقة، والقضاء على جذور المقاومة، والتي كثيرا ما كانت

1 -GSELL(St.) , HÈRODOTE, CXCIII, 33.

2 النوميديون. نسبة إلى" نوميداو" (NUMIDÆ) مصطلح أطلقه الإغريق ثم الرومان على سكان المنطقة الذين كانوا حسب "هيرودوت" يسكنون بيوتا سهلة الحمل، ويأكلون اللحم ويشربون الحليب، وقسم المنطقة إلى ثلاثة أقسام متوازية تمتد من مصر شرقا إلى" رأس سولاوي" " الذي يقع على المحيط إلى الجنوب من أعمدة هرقل»، فالقسم الشمالي مأهول بالسكان والذين ينقسمون من حيث النشاط إلى مزارعين مستقرين وإلى رعاة رحل. وفي الجنوب توجد منطقة البهائم المتوحشة، ثم منطقة الصحراء إلى الجنوب منها. للمزيد من المعلومات أنظر: - HERODOTE ,XXXII ,39 ;41.

3 برنيان (أندري) وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح وجماعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص. 79.

تستمد قوتها من المناطق الجغرافية المأهولة بالسكان والواقعة خارج حدود"الليمس" [1]، وكانت هذه المناطق تمثل امتدادا للمقاومة، وخلفية ترابية وبشرية تنطلق منها الثورات وتعود إليها [2].

وفي هذا الصدد ما يفند ما كتبه المؤرخ" جزيل ستيفان" [3]:-"من أن سكان الهضاب العليا قد تقبلوا الغزو الروماني بدون مقاومة، بدليل أنه لم تظهر أي عقبة في وجه الانتشار الروماني، و أن روما كانت تحترم المؤسسات المحلية، والقوانين والعادات والمعتقدات حسب هذا المؤرخ". وبيّنت الأحداث أن روما حاولت بسط سيطرتها، وهيمنتها من خلال فرض سلم مشكوك فيه، ولاسيما بعد أن وضع"قيصر" [4] الخطوات الأولى للاحتلال وذلك بتأسيس الولاية الرومانية الثانية، والتي ترتب عليها بداية تطبيق سياسة الاحتلال الروماني على أرض الواقع.

1 خط" الليمس"(Limes) خط دفاعي مزود بمراكز محصّنة موجهة لمقاومة هجمات النوميديين المحتملة، ومعززة بنقاط مراقبة على التلال الجبلية المحيطة، وخاصة الواقعة جنوب الأوراس، وتعززت هذه الحدود ما بين القرنين الأول والثاني بإقامة خط" ليمس" ثان. للمزيد من المعلومات أنظر: -

- CAMPS (G.), « les BAVARDS »,R.AF, N°,444-445,1955 ,p.p.283,286.

2 شنيتي (محمد البشير)،"التوسع الرومانية نحـو الجنوب وآثاره "...ص.ص.3-4.

3 GSELL (St.),l'Algérie dans l' antiquité, imprimerie officielle, Alger, 1903,p.75

4 قيصر. اسمه عند نشأته "جايوس أكتافيوس" (J.Octavieis). تبناه" جايوس يوليوس قيصر" المغتال عام 44 ق م، وبمقتضى الوصيّة التي تركها وفُتِحت بعد اغتياله أكتسب" أكتافيوس"- وبحسب العرف الروماني- أسم أبيه الجديد، فأصبح يدعى" جايوس يوليوس قيصر أكتافيوس"، واشتهر باسم قيصر. وبعد جانفي 27 ق م حَمل بمقتضى قرار من السِنتو (مجلس الشيوخ) لقب الجليل أو العظيم (أغسطس). كما كان بلقب بابن المُؤَله. وبالإله والإله قيصر، وغيرها من الألقاب المشابهة. ولعله أول من حمل لقب إمبراطور. دامت فترة حكمه مـن 30 ق م إلى 14م. للمزيد من المعلومات أنظر: - هـارولد (ايدرس بل)، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ترجمة وإضافة أحمد علي عبد اللطيف، دار النهضة العربية، بيروت،1973، ص .213.

وطوال فترة الاحتلال الروماني. ومنذ القرن الأول قبل الميلاد. لم تتوقف حركات المقاومة والتمرد والعصيان ومنها ثورة الزعيم النوميدي "أرابيون" بن "ماسينيسا الثاني" [(1)]، وتبعتها ثورات أخرى كثورة "تاكفاريناس" [(2)]. النوميدي ما بين سنتي 16 و24 للميلاد ليعُم المنطقة بعد ذلك عصيان القبائل الموريّة التي حملت السلاح ضد الرومان في عهد الإمبراطور" كاليغولا" ما بين سنتي 37 و41 م [(3)].

وانطلقت الفرق العسكرية في حملات ضد البدو في رفارف الصحراء في عهد الإمبراطور "تراجانوس"[4] والذي كلف القائدين"غالوس" و"نطاليس"،بالإشراف على

---

1 ثار "أرابيون" في الشمال النوميدي وتحالف مع" سيكتوس"، حاكم أفريقيا الجديدة، والذي عزله مجلس الشيوخ كحاكم للولاية الجديدة لأنه أعلن عن انضمامه إلى الحكم الثلاثي المعادي لمجلس الشيوخ، وخاض" أرابيون" الحرب ضد المغامر «سيتيوس"، الذي احتل أرض آبائه وأجداده وقضى على فلول مرتزقته، كما تصدى للملك "بوكوس الثاني"، وطرده من الجناح الغربي لنوميديا قبل مجيء الديكتاتور قيصر مما أثار مخاوف حليفه "سيكتوس"، الذي دبر مؤامرة اغتياله. للمزيد من المعلومات أنظر غانم (محمد الصغير)، المرجع السابق، ص.ص.29-30.؛ شنيتي(محمد البشير) ، سياسة الرومنة في بلاد المغرب (146 ق م-40 م)المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1982، ص ص. 68،69.

2 "تاكفاريناس" قائد بربري فر من الجندية الرومانية، وجمع أنصارا نظمهم تنظيما عسكريا من مشاة وخيالة. استجاب لندائه قبائل "الموزولامي" وكذا المور ورئيسهم "مازيبا"، لتشمل العديد من المناطق. وفي سنة 17 م شنت ضده حربا كبرى لينسحب إلى الصحراء لإصلاح قواته، وتمكن من الاستيلاء على قلعة بالقرب من "لمبيزي"ثم واصل زحفه ليصل إلى الساحل في سنة 21م، وبوصول فرق رومانية أنسحب إلى"أوزايا" حيث جرح جرحا قاتلا بعد مقاومة ومعارك. لمزيد من المعلومات أنظر: - قداش(محفوظ)، المرجع السابق، ص.ص.126-128.

3MONCEAUX(Paul), les Africaines (étude sur la littérature Latine d'Afrique), Les païennes, lecène ondin et Cie éditeurs, Paris,1894 ,p.p. 21-22.

4 تراجانوس (53-117 م)، إمبراطور روماني للفترة (98-117 م)، خلف"نرفا"(Nerva)كان يسعى من أجل سعادة مواطنيه، وأظهر براعة في التنظيم الإداري والبناء. للمزيد من المعلومات أنظر: - Nouveau-Larousse, édit. , Librairie Larousse, Paris,1968, p 1607.

الحملات خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 102 و105 للميلاد، لينتقل الليمس من شمال الأوراس إلى جنوبه[1]. واستمرت حركة العصيان على مدار خمسة قرون كاملة هدد خلالها التواجد الروماني في المنطقة، من خلال انتفاضات كثيرة[2].

كان لها الدور الكبير في تهديد وجود الاحتلال الروماني، لكن الغلبة كانت للمحتلين نظرا لعوامل متعددة منها التنظيم والتسليح مما جعل السيطرة تكاد تكون شبه كلية، وكان من نتيجة ذلك آثار متعددة.

3-نظام الإدارة وجيش الاحتلال الروماني:

ليحافظ الرومان على وحدة إمبراطوريتهم بعد عملية السيطرة قسموا المغرب القديم إلى ولايات سيناتورية تابعة لمجلس الشيوخ، وولايات أخرى تابعة للإمبراطور نفسه، ويعين على رأس كل واحدة منها حاكما يمارس مهام سياسية وعسكرية [3].

وتشمل هذه الولايات أربع مقاطعات مختلفة، وبثلاث أنظمة حكم مُطبق، فالولايات هي: -ولاية قرطاج وولاية نوميديا وهما ولايتان سيناتورية، وولاية موريطانيا القيصرية وولاية موريطانيا الطنجية وهما ولايتان إمبراطورية.

1 شنيتي (محمد البشير)،"التوسع الرومانية نحو الجنوب وآثاره "...ص.ص.7- 8.

2 MONCEAUX(Paul),op-cit.,p.p.23-34.

3 غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص. 21.

أما أنظمة الحكم المُطبق فهي الحكومة البروقنصلية [1]، وتشمل قرطاج وحكومة البروبريطور[2]، وتشمل نوميديا وقاعدتها سرتا، والحكومة الثالثة هي حكومة البروكوراتور [3] وتشمل موريطانيا القيصرية وقاعدتها شرشال وموريطانيا الطنجية وقاعدتها طنجي [4] .

والإمبراطور يقوم بعملية انتقاء لوكلائه من بين أمهر الفرسان الذين يتسمون بالطاعة له للقيام بمهامهم، وكانت حالة الحرب في الغالب تقتضي توحيد المقاطعتين الموريطانيتين وتشمل نوميديا أحيانا ويقيم حاكم المقاطعة بجمع السلطة الإدارية والمدنية والعسكرية بيده، ويتخذ من عاصمة المقاطعة مقرا له.

1 البروقنصلية (Proconsul) ولاية سيناتورية تابعة لمجلس الشيوخ يمارس وظيفتها بروقنصل (Proconsul) ومعناه القنصل البديل عن القنصل(consul) ،الذي كان ينتخب في البداية لمدة سنة واحدة ، ولا يحق له الانتخاب مرة ثانية إلا بعد عشر سنوات ، مما أدى إلى اضطرار القناصل الأكفاء ذوي الخبرة العسكرية إلى التخلي عن المهام لآخرين في وقت كانت الدولة منشغلة فيه بأمر الحرب ، فاستحدث مجلس الشيوخ منصب البروقنصل (القنصل البديل) ليستمر لمدة أطول، وفي عهد قيصر أغسطس- والذي يكون أول من حمل لقب الإمبراطور- أسند لنفسه إدارة الولايات التي تحتاج إلى عدد من الفرق الرومانية ،وضمن بقاء القوة العسكرية الضارية في مختلف الجهات تحت سيطرته ، ثم لم يلبث أن تدخل في شؤون الولايات السيناتورية ، وصارت قراراته تسرى عليها، للمزيد من المعلومات أنظر:- هـ .ايدرس بل ، المرجع السابق ، ص. ص . 90-91.

2 بروبريطور (Propraetor) ، قاض يعين لمدة سنة قابلة للتمديد .

3 البروكوراتور (Procorator)، وكيل الإمبراطور يحكم باسمه ويمارس المهام المدنية والعسكرية، وكان الإمبراطور يعين ويعزل الوكلاء الذين يمارسون مهامهم لسنوات عديدة عكس ولاة الحكم السيناتوري، لمزيد من المعلومات أنظر:

-Albertini(Eugène),l’Afrique romaine, imprimerie officielle, Alger,1950,p.36.

4 lbid, p.36.

كما يشرف على إقامة التحصينات وحفظ الأمن وتهيئة الأوضاع وشق الطرق وإقامة الأبراج وتسيير الشؤون المالية ويمثل السلطة القضائية ،وباختصار فهو يمثل الإمبراطور وسيد مقاطعته[1] .

ولم تحدث تغيرات هامة في نظام المقاطعات في المنطقة إلا بعد سنة 297م حيث قام الإمبراطور"دقلديانوس" بإجراء تغيرات على نظام الحكومة في نوميديا وموريطانيا القيصرية، وذلك بأن أوجد أربعة أقسام إدارية وهي: نوميديا السيرتية وقاعدتها مدينة سرتا ونوميديا العسكرية وقاعدتها "لمبيزي" (تازولت) وموريطانيا السطيفية وقاعدتها "ستيفيس"(سطيف الحالية) وموريطانيا القيصرية وقاعدتها قيصرية "شرشال" [2] وفي ظلّ إصلاحاته قام بإلحاق مقاطعة موريطانيا الطنجيّة بإسبانيا وقام بتجزئة موريطانيا القيصرية إلى جزأين هما: موريطانيا القيصرية وموريطانيا السطيفية فيما بين سنتي 292 و296 م ويستعين حاكم المقاطعة بمجموعة من المساعدين والموظفين أو بعض الأعيان من الأهالي[3].

وبعد عملية السيطرة على المناطق الشمالية بدأ الرومان في عملية تشيّيد للمدن لاحتواء الرومان القادمين، والذين سيطروا على الأراضي الخصبّة، التي وزعت عليهم إذ أن

1 شنيتي (محمد البشير)، الجزائر في ضل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليميس) الموريطاني ومقاومة المور، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص. 78-79.

2 الميلي (محمد بن مبارك)، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج1، مطابع بدران، بيروت،1963، ص. 191.

3 شنيتي (محمد البشير)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني... ص.ص. 80 – 81.

الإمبراطور نيرون"[1] بين عامي 54 و68م قد قام بمصادرة معظم الضياع الزراعية[2] التي كانت تقع في محيط السيطرة العسكرية على المناطق الساحلية والأقاليم المجاورة، لتمتّد فيما بعد إلى المناطق الداخلية[3]. حيث أُنشئت مستوطنات لقدماء الرومان منذ عهد "سيتوس".

وتم تشييد المدن المرتبطة بالطرق الرئيسية، وخاصة بعد تحصينات خط الليمس الأول في القرن الميلادي الأول ثم الخط الثاني خلال القرن الثالث للميلاد [4]، وهذه المدن كانت تقام في المناطق المُحصّنة حتى تسهل عملية حراستها وتنبيهها ساع الخطر[5] خاصة وأن السكان الأهالي كثيرا ما كانوا يقومون بهجمات خلال النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد حيث يقومون بحرق المزارع وتهديد المدن ، مستغلين في ذلك ضعف السلطة الرومانية [6].

وكانت توجد في أفريقيا الفرقة الأوغسطية الثالثة [7] والتي كانت تتشكل من قوة عسكرية تقدر بـــ 5500 رجلا ومرتبطة مع فرقة أخرى تساويها عدديا في قرطاج مكلفة بحراسة البروقنصلية ، إضافة إلى حاميات أخرى في نوميديا.

---

1 نيرون ولد سنة 37 م وحكم الإمبراطورية الرومانية ما بين سنتي (54و68 م)، كان حاكما دمويا، إذ تخلص من أقرب الناس إليه، واضطهد المسيحيين بعنف غير مسبوق، أغتيل سنة 68 م.لمزيد من المعلومات أنظر:-

-Nouveau Larousse Universel, T.2, édit. , Librairie Larousse, Paris, 1969, p.292.

2 PLINE L’Ancien, XVIII,35.

3 شنيتي (محمد البشير)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ... ص. 21.

4 غانم (محمد الصغير)، المرجع السابق، ص. 21.

5 ALBERTINI (Eugène), op-cit .,p.75.

6 Albert (AYACHE) , Histoire ancienne de l’Afrique du nord, éditions sociales , Paris , 1964 , p.67.

7 الجيش الروماني لا يقبل في صفوفه سوى المواطنين الرومان(Livis) وذلك في العهد الإمبراطوري، وكانت الغرفة الواحدة (Legio) تتشكل نظريا من 6000 جندي وتنقسم إلى عشرة كتائب تسمى كل واحدة (Cohors) وتتألف من 600 رجل وتنقسم بدورها إلى ست سرايا، وكل سرية تتكون من حوالي 100 جندي وقائد الفرقة يكون عادة=

وفي لمبيزي تشكلت وابتداءً من القرن الثاني للميلاد فرق المُشاة والفرق المساعدة كما دلّت الحفريات التي أجريت في لمبيزي على تشكيل الفرق الموسيقية وتنظيمها والتي تعمل إلى جانب الفرقة الأوغسطية الثالثة والتي تتمثل في فرقتين أساسيتين للعزف إحداهما للجوق والأخرى للخيالة و والتي يرجع تاريخ إنشائهما إلى الفترة الممتدة ما بين سنتي 202 و205 م [1].وفي نوميديا شكلت فرق للفرسان وفرق للمشاة، وكانت فرقة الفرسان أكثر عدديا من فرق المُشاة.

وكانت الفرق المساعدة تضّم نحو خمسة عشر ألف رجل (15000)، بالإضافة إلى الكتائب المكلفة بالحراسة حول البر وقنصلية وقوة من الشرطة لحفظ النظام في مدينة قرطاج، وعلى العموم فإن القوات الرومانية كانت تبلغ في حدود سبع وعشرين ألف رجل (27000) في كامل إفريقيا الشمالية [2].

وأوكلت قيادة الجيش في البروقنصلية ونوميديا إلى حاكم المقاطعة البر وقنصلية في البداية، ثم كلف الإمبراطور "كاليغولا" عام 37م قائد عسكري (légat) هو من يُعينه[3] وبقي هذا التنظيم ساريًا تقريبا إلى عهد الإمبراطور "دقلديانوس" الذي أعاد تنظيم قيادة الجيش بأن أسند قيادة جيش البروقنصلية ونوميديا وموريطانيا السطيفية إلى قائد برتبة الكونت، في حين كان قائد جيش موريطانيا القيصرية برتبة ثانوية، وألحقت موريطانيا الطنجية بمقاطعة

= من طبقة السيناتور ويسمى (Legatus ligimos) وتتراوح مدة الخدمة في الجيش ما بين 25 و 26 سنة، للمزيد من المعلومات أنظر: – هـ. ايدرس بل، المرجع السابق، ص، 92 حاشية 1.

1 BATIFFOL(H) ;ISSAL(M), « les Règlements des collèges De Musiciens de la légio III° Auguste », R .AF.,N° 67, 1926,p.p,179-180.

2 -ALBERTINI (Eugène), op-cit., p.43.

3 شنيتي(محمد البشير)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ...ص.97.

إسبانية التي يقودها قائد برتبة كونت، وكلف جند المعمرين بالدفاع عن الحدود الجنوبية في إطار الخدمة العسكرية مع الإعفاء من دفع الضرائب، وأجبر الأباطرة ملاك الأراضي بتزويد الجيوش بالجند، مما أدى بهؤلاء الملاكين إلى دفع فلاحيهم إلى التجنيد [1] وذلك فيما نرى في القرن الثالث للميلاد على اعتبار الانهيار الأخلاقي والعسكري في روما والذي أدرك المنطقة وخلق جوا من العصيان مما يدل على أن السيطرة الرومانية لم تكن كاملة على المنطقة [2].

4-أوضاع شمال إفريقيا الاقتصادية:

أبقى الرومان على النشاط الاقتصادي الذي كان سائدا من قبل، خاصة وأن المنطقة تتميّز بخصوبة أراضيها، إذ أن السكان كانوا يمارسون الزراعة في الأراضي الخصبة وينتجون الحبوب، كما يوجد الرحل ، وخلال القرن الرابع قبل الميلاد كان ريف قرطاج مزدهر زراعيا [3] وتم تطوير تقنية الإنتاج من خلال استخدام المشاريع المائية (سدود،أقنيّة وآبار) [4] .

---

1 جوليان (شارل اندري)، المرجع السابق، ص.ص. 217-218.

2 SALAMA(Pierre), les Voies romaines de l'Afrique du Nord, imprimerie officielle, Alger,1951, p.28.

3 DIODORE De Sicile, Bibliothèque historique, tradition, A, F, Miot Paris, 1834, III,39 ; XXlll,4

4 الأبحاث الأثرية التي جرت خلال العهد الاستعماري الحديث دلّت على وجود آثار مائية تعود إلى العهد الروماني تتمثل في نظام حفظ وتوزيع المياه، ومن بين هذه الآثار لوحة لمبيزي التي تبين جدولا دقيقا للمشرفين على توزيع المياه، مما يدل على مهارة في الاحتياطات المتعلقة بالزراعة وتنظيم المياه كوسيلة لمجابهة الأخطار المحتملة المتمثلة في الجفاف أو الكوارث التي تلحق بالأرض، لمزيد من المعلومات أنظر:

-BERTHIER (André) , les vestiges du christianisme antique dans la Numidie central, imprimerie Polyglotte Afrique , Alger, 1942, p. 30 .

وتم التركيز على زراعة القمح، وبدأت ملكية القبيلة للأرض تنحصر لصالح الملكية الخاصة الرومانية، وقسمت الأرض الزراعية إلى قسمين: القسم الأول: يتمثل في الأراضي ذات التربة غير الصالحة، وتركت للقبائل الأهلية.

القسم الثاني: ويتمثل في الأراضي الخصبة والتي تم الاستيلاء عليها من طرف المعمرين الرومان[1] الذين استخدموا لزراعتهم العبيد والعمال الأجراء، والملاك القدماء (من السكان) والذين استقروا بالأرض العامة فكانوا يدفعون الضرائب، أما الملاك الصغار فكانوا يدفعون الّرسوم العادية وغير العادية ، إضافة إلى الضرائب [2] التي كانت تدفع بمقادير مختلفة حسب نوعيتها، فمنها الضريبة الشخصية، وضريبة العقار، والضريبة العسكرية المعروفة بالتموينية العسكرية وهي ضريبة فرضت على الأهالي لتموين الجيش، وضريبة الأداء على التجارة الخارجية [3] .

وتضاعفت أعمال الجباية على الريفيين الذين كانوا مطالبين بجمع الضرائب وبتكلفة نقلها وتعويض ما قد يضيع منها في الطريق[4]، ورغم أن الأرض الخصبة صارت ملكا عاما لروما[5] وأملاكا خاصة للطبقة الأرستقراطية فإن روما استولت على المزيد من الأراضي وخصصتها كملكيات صغيرة للمعمرين ولقدماء المحاربين، فازداد بذلك عدد المستعمرات العسكرية في كامل أفريقيا، ولضمان الإنتاج تمت عملية تقوية جهاز الري بإقامة السدود على

---

1 جغلول (عبد القادر)، المرجع السابق، ص.ص. 16-18.

2 LAROUI (Abdellah), histoire du Maghreb (essai de synthèse Français), Maspero, Paris,1970, p.38

3 الميلي (محمد بن المبارك)، المرجع السابق، ص، 204؛ هـ ايدرس بل، المرجع السابق، ص.144.

4 شنيتي(محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب ... ص.41.

5Pline L' ancien, XVlll. ,35

الأودية، وبناء خزانات المياه لسقي المزروعات[1] واستعانت في ذلك بمهندسين رومان لتنظيم الزراعة وفق منهج تنظيمي للأرض، وانتشرت معاصر الزيتون وجني الحبوب، وذلك من خلال المكتشفات الأثرية المتمثلة في المطاحن والمطامير التي تعود إلى تلك الفترة[2] وانتشرت زراعة الكروم والزياتين في المنطقة [3] وازدادت عملية الزيتنة منذ أوائل القرن الثاني للميلاد وتشمل سهوب التل ذات التربة الأقل خصوبة ثم توسعت لتصل إلى سفوح الأوراس الشمالية والجنوبية ثم رفارف الصحراء وذلك بتشجيع من الأباطرة الذين كانوا يمنحون الرخص الخاصة لزراعة الزيتون في الحقول، على عكس زراعة الكروم التي كانت محظورة بالمقاطعات الإفريقية [4] رغم أنه كانت توجد شجرة فواكه في بلاد "الماسيسل" تنتج الخمر[5] وكما تمارس زراعة الزيتون في هذه المنطقة المعتدلة كغذاء أساسي، ذلك أن الزيتون يتأقلم مع الأقاليم الباردة أو الحارة [6]، والمناخ في المنطقة معتدل في عمومه ويساعد على إقامة هذا النوع من الزراعة.

كما أن هذه الزراعة توفر مناصب شغل- وإن كانت موسمية - مما يسمح باستقرار للقبائل و يساعد الرومان على التحكم في السكان[7] خاصة وأن السكان كانوا كثيري الترحال ما بين المناطق الرعوية الواقعة في شمال وجنوب التل، وهي المنطقة المسكونة من طرف قبائل "الجيتول" التي تعد من أقوى القبائل في المنطقة [8].

1 ALBERTINI (Eugène),op-cit.,p.p.60-61
2 . BERTHIER (André) , op-cit.,p. 29
3 Pline l'ancien XV,2.
4 شنيتي(محمد البشير)،"التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره " ... ص.21.
5 STRABON , XVll , 3 , 11.
6 Pline L’ancien, Xll , 26
7 شنيتي(محمد البشير)، التوسع الروماني نحو الجنوب و أثاره "...ص. 22 .
8 STRABDN, XVII,3,19; XXII,9

وقد يكون هذا أحد الأسباب التي جعلت الرومان يشكلون فرقة عسكرية في مناطق نوميديا الجنوبية، ثم أنشأ "دقلديانوس" مقاطعة "لمبيزي" العسكرية، وذلك بهدف حماية المصادر الحيوية وتنشيط الأسواق المحلية في منطقة التل حيث تنتشر الزراعة[1] وعملت سلطة الاحتلال على تشجيع المستوطنين الرومان على تربية النحل وذلك لأن النحل الأفريقي كان مشهورا بكثرة إنتاجه للعسل[2].

ولضمان نقل هذه الخيرات الأفريقية إلى روما، والتي كانت تبلغ خلال العهد الإمبراطوري في حدود ثلثي (3/ 2) حاجة روما من القمح[3] فإن روما قامت بتنشيط حركة الطرق عبر كامل المقاطعات من قيصرية (شرشال) وعلى طول السواحل، وعلى امتداد موريطانيا السطيفية، وباتجاهات داخلية إلى المناطق الجبلية في "أومال" وفي اتجاهات الحضنة، وغيرها، فإن الطرقات كانت تمثل مصدرا للسلم وللربح[4]. وتم تنشيط شبكة الطُرق التي تعود إلى العهد القرطاجي ،والتي كانت تربط ما بين قرطاج وطنجي، وازدادت أهمية هذه الطرق في العهد الروماني، وتنوّعت قيمتها بمرور الوقت لتظهر في البداية كطرق عسكرية ، مساعدة على التوغل في المنطقة ثم استعملت لأغراض اقتصادية [5] .

كما شكلت الطرق الثانوية للتغطية مختلف المناطق ذات الحيوية الاقتصادية و العسكرية بالطرق الممتدة نحو الموانى مصدرا أساسيا للاقتصاد الاستيطاني[6]. وزادت عملية الاهتمام

---

1 BERTHIER (André), op-cit., p. 25.
2 Pline L'ancien, XI,33.
3 GSELL(St.), l'Algérie dans l'antiquité ...p. 88.
4 SALAMA(Pierre), op-cit., p.28.
5 مسعودي (آسيا بوعجميمي)،"إنشاء وتطور المرافق الأساسية للتجارة الرومانية في المغرب خلال العهد الإمبراطوري الأول"، حوليات، العدد 08، جامعة الجزائر، الجزائر، أفريل 1994، ص.ص.161.
6 SALAMA(Pierre), op-cit., p.43.

بالبستنة وزراعة الخضر و الفواكه باستعمال الخيول والجمال التي بدأت تأخذ مكانا لها في الاقتصاد الريفي الإفريقي مع نهاية القرن الثاني للميلاد حيث بدأت الأزمة الاقتصادية تتفاقم في روما نظرا لقلة الذهب وتناقص ضرب السكة وخلطها بمعادن أخرى بنسبة خمسين بالمائة (50٪) [1]. وبدأت روما في استغلال مناجم الحديد والرصاص والفضة والنحاس، ثم استغلال الغابات التي تغطي حاجة روما بأخشاب البناء والتدفئة كذلك [2].

وبذلك أصبحت المنطقة تعد خلفيّة اقتصادية هامة لتغطية الاستهلاك المتزايد لروما من الخيرات ومن الحبوب التي كانت تشكل من إفريقيا ثلثي ما يزود حاجة الاستهلاك الروماني خلال العهد الإمبراطوري الأول، وبرزت أهمية الموانئ، القريبة من المناطق الخصبة والغنية بالمنتوجات الزراعية، ومن هذه الموانئ ميناء "هيبون" وميناء حضرموت "سوسة" وميناء "روسيكادا" وميناء "صلداي" وميناء "إيول"شرشال وميناء "تيبازة" وكانت جل هذه الموانئ تصدر منتوجات المناطق المحيطة مثل القمح و الزيت [3]. وهذا بالاستغلال الشامل للأرض. وللثروة المائية وتجنيد للطاقة البشرية لجعل الأرض تنتج أكثر من أجل مواجهة الاستهلاك المتزايد [4].

5- الأوضاع الاجتماعية والثقافية العامة:

صاحب الاستيطان الروماني لإفريقيا، ازدياد حدة الفقر والعمل من أجل تشتيت الروابط القبلية التي تربط أفراد المجتمع فيما عدا المناطق التي بقيت تحافظ على استقلالها،

1 جوليان (شارل اندري)، المرجع السا بق، ص.ص. 270 – 271.

2 ALBERTINI (Eugène), op-cit., p.59

3 مسعودي (آسيا بوعجيمي)، المرجع السابق، ص.164.

4 شنيتي (محمد البشير)،"التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره "... ص.3.

حيث حافظت على بنيتها القبلية ذات الروابط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وصارت القبائل الخاضعة للاستبطان مقسمة إلى طبقات جديدة مرتبة بحسب أهمية كل طبقة في حركة الإنتاج [1].

إذ أن المجتمع يتألف من قبائل، كل واحدة من هذه القبائل تحتل أراضي واسعة ولكل عشيرة (قبيلة) زعيم يحكمها ووصف "هيرودوت" زعماء تلك العشائر بالملوك، وكانت سلطة الملك تورث في القبائل[2] .

وأشارت نقيشة "ليبوبونيقيّة "اكتشفت "بدقة "وتعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد إلى أن ملوك وزعماء المنطقة يعرفون باسم "الإقليد" [3] وهذه القبائل المجتمعة تشكل خطرا على الرومان الذين سعوا إلى تشتيتها والاستيلاء على أراضيها الخصبة، وإرهاق السكان و إرغام البعض منهم على الاستقرار لخدمة الأرض بعد أن كانوا رحلا [4] ويرى "ديودور الصقلي" [5] "بأن الليبيّين ينقسمون إلى فئتين، وتتشكل الفئة الأولى من المزارعين والرحل ولهؤلاء ملوك. والفئة الأخرى من الليبيّين تتشكل من الذين يمارسون عمليات النهب وهؤلاء لا يخضعون لملك ".

ولذلك نظرت روما إلى الأهالي على أنهم يشكلون فئتين، فئة مسالمة من الحضر، وفئة محاربة من الريفيين والبدو[6] وساهمت حالة الّلا أمن والتخريب، واختلال النظام الفلاحي والتجاري في دفع الطبقة الغنية إلى الإقامة في المدن، وأرغم الفلاحون الصغار على بيع أو

1 جغلول (عبد القادر)، المرجع السابق، ص. 18.

2 Gsell (St.), Hérodote, p.199
3 Ibid.,p .200 .
4 . Camps, op -cit., p.283
5 . Diobore, III ,49

6 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية...ص .173.

ترك أراضيهم إلى كبار الملاك بما تحتويه هذه الأرض من زراعة وعمال[1] مما أدى إلى الحاجة لمزيد من اليد العاملة و تحويل بعض من المجتمع النوميدي .

من المجتمع للرحل إلى مجتمع زراعي متوطّن[2].خاصة بعد أن أصبحت المناطق التلية جزءا رئيسيا من الإمبراطورية الرومانية يسري عليها القانون الروماني، وهي في الغالب أرض زراعية منتجة في حين بقيت المناطق الرعوية الجنوبية خارجة عن حدود السيطرة، مما دفع بالرومان إلى طرد القبائل الرافضة للسيطرة إلى ما وراء خط الليمس ومصادرة أراضيها ومنعها من التنقل شمالا مما جعل هذه القبائل تمارس الرعي والترحال[3] وبذلك صارت تشكل خطرا جديدا على الشمال الذي حصن أكثر بإقامة خط الليمس الثاني في القرن الثالث للميلاد.

كما سعت الإدارة الرومانية إلى تشتيت بعض القبائل ومنها قبيلة "الموزولامي" التي تحولت إلى قبيلة تعمل في الزراعة وتستقر بعد أن كانت تمارس الرعي و الترحال [4] وبدأ المستوطنون الرومان في بناء المدن في الهضاب العليا و حول الأودية في شمال الأوراس[5] أو احتلال المدن القديمة و تحصينها، و انتشرت هذه المدن والقرى السكنية في المنطقة إلى حد أن المؤرخ الفرنسي "كورتوا"[6] يعدد أكثر من 500 مدينة رومانية في المغرب القديم، ويقدم

1 .Albert (Ayache), op- cit., p.69
2 Gautier(E.F.), Le passé de l'Afrique du Nord, Payot, Paris, 1942, p, 257.
3 شنيتي(محمد البشير) ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ، ج 1...ص.315 .
4 Camps, op-cit., p.283
5 Gautier(E.F.), op-cit.,p.257.
6 - Courtois (Christian), les Vandales et l'Afrique, Arts et Métiers graphiques, Paris ,1955,p.111.

إحصاء للسكان الحضر بمليونين ونصف المليون نسمة أي ما يشكل حسب زعمه نسبة 60٪ من مجموع السكان المفترضين لإفريقيا الرومانية .

وهي نسبة تبدو أكثر مبالغة بالنظر إلى طبيعة المجتمع خلال تلك الفترة وحالة الترحال أو اللجوء إلى المناطق الجبلية والداخلية، بالرغم من استغلال الطبقة الفلاحية الكادحة بلا حدّ من طرف الطبقة الأرستقراطية الجديدة لتظهر طبقتان اجتماعيتان متمايزتان معيشيا ومختلفتان عرقيا ولغويا، إذ بقيت الطبقة الفلاحية الكادحة وفيّة للهجتها القديمة [1].

ولقد أدركت روما منذ بداية اتصالها بالسكان خطر النومديين على وجودها في المنطقة إن ظلّوا يحافظون على كيانهم القبلي، ولها في حروبها ما يجعلها أكثر احترازا، ذلك أنهم كانوا يشكلون فرقا خاصة مساعدة للقرطاجيين وكان عددهم الأكبر من فـئة الشباب[2]، مما أدى إلى إلحاق الأذى بالسكان الذين رفضوا الإذعان، وتمثل ذلك في أساليب متعددة للإذلال، منها الاضطهاد والاستيلاء على الحرث والثيران و الابتزاز، وكان من نتيجة ذلك العمل أن فر الناس حفاظا على كرامتهم وأنفسهم[3] مما أدى إلى إفقار الناس وقلة الإنتاج الزراعي، إذ ضاعت من الأفارقة ملكياتهم التي تحولت إلى المعمرين الجدد، مما جعل "القديس قبريانوس"[4] يقول: "أن الأغنياء أضافوا الأملاك إلى أملاكهم، وأقصوا الفقراء ووسّعوا

1 Gautier(E.F.),op-cit.,p.259.
2 TITE Live,XLX.

3 شنيتي(محمد البشير) ،التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب ... ص. ص. 32 – 33 .

4 القديس" قبريانوس" ولد في مدينة قرطاج في حوالي سنة 200 للميلاد من أبوين وثنيّين ومن طبقة أرستقراطية، كان خطيبا بارعا، وأشتغل بالمحاماة ثم تأثر بقس يسمى "كاسليانوس "، فأعتنق المسيحية في حدود سنة 245 للميلاد، ووزع أمواله على الفقراء من الأهالي وبدأ في نشر المسيحية، وفي عام 248 للميلاد أصبح كاهنا وتقلد مهام الكنيسة في قرطاج ، ودعم كنيسته أثناء فترة الاضطهاد ، وأرغم على الإبعاد بذكاء وفطنة ، وذلك عام 250 للميلاد،=

أراضيهم". وبفعل هذه السياسة عُزل السكان عن بعضهم البعض ، ورحل بعضهم إلى ما وراء السفوح الجنوبية لمرتفعات الأوراس والحضنة، وذلك في محاولة لقطع الصلة ما بين القبائل، وضرب أي محاولة لاتحادها والحصول على أراضي زراعية جديدة للاستيطان[1] وفي الوقت الذي كان فيه الحلفاء أقل سوءا في المعاملة، وكانت الكوارث تضرب صغار الفلاحين وأملاك المستوطنين الخاصة والأملاك الإمبراطورية، كما كانوا يعانون من عصابات قطاع الطرق والحروب ومن مضايقات كبار المزارعين الذين كانوا يقومون بعملية تأجير الأرض للفلاحين مقابل دفع منتظم للإيجار، إضافة إلى ما يجنونه من أموال[2].

ولم يكن هؤلاء سوى المواطنين الرومان الذين لهم حق المواطنة، والتي كانت تقسم إلى ثلاث درجات، الأولى مواطنة رومانية والثانية مواطنة لاتينية تؤدي لاحقا إلى مواطنة رومانية والثالثة مواطنة إيطالية، ولا يمكن المرور إلى المواطنة الرومانية إلا بعد المرور على

=وعاد إليها في خريف عام 251 م ، عقد العديد من المجامع الكنيسة وحارب المنشقين و الهراطقة ، وكتب العديد من المؤلفات في تعليم المذهب المسيحي والإيمان ورفض أن يقدم الأضاحي للأصنام ، كما رفض تسليم كهنة كنيسته والخضوع لأمر "فاليريان " ضد زعماء الكنائس ، ثم مثل أمام البر وقنصل" ڤالاريوس ماكسيموس" حيث أُعدم في يوم 14 ديسمبر 258م، وظل هذا التاريخ يحتفل به كيوم شرف في قرطاج من طرف الكاثوليك و الهراطقة إلى غاية الفتح الإسلامي. لمزيد من المعلومات أنظر:

-Vaultrin (J.), « Les Basiliques chrétiennes de Carthage », R.AF., N°74, 1933, p.p.118 -119.

1 شنيتي(محمد البشير)،"التوسع الروماني نحوالجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية "...ص.7 .

2 GSELL(St.), l’Algérie dans l’antiqutie…p.p.108-10.

المواطنة اللاتينية[1] وبالرغم من أن الإمبراطور "كراكلا [2] أصدر عام 212م، دستورا يعترف فيه بحق المواطنة لكافة سكان الإمبراطورية وذلك بأن يخضع جميع سكان الإمبراطورية إلى القانون المدني الروماني[3] مما جعل الطبقة العليا في المجتمع تتهاوى لتتساوى مع باقي الطبقات الوسطى، وأظهر"كركلا" ثقته في الطبقتين المتوسطة والدنيا اللتين ينتمي إليهما الجيش[4] ورغم ذلك فإن التراتب الاجتماعي ظل طبقيا، وظلت الأملاك الواسعة ملكا لأعضاء من مجلس الشيوخ والأجانب[5].

وغم أن الفئة المتوسطة المتكونة من أغنياء المدن سرعان ما أفلست ولم تعد لها قيمة اجتماعية أو فعالية سياسية ولم تعد تحظى بثقة كبيرة لدى السلطة الإمبراطورية، فإن فئة الأسياد تكونت من ملاك الضياع الكبرى المتنوعة الإنتاج تحالفت مع السلطة الإمبراطورية نظرا لارتباط المصالح، وبالمقابل كانت في أسفل الترتيب الاجتماعي فئة اليد العاملة بمختلف أنواعها سواء كانت من الأحرار أو من العبيد وهي الفئة المنتجة الممثلة في الحرفيين بالحواضر

---

1 شنيتي(محمد البشير) ، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية ...ص . 173.

2 كركلا، إمبراطور روماني و ابن" سبتيموس سيفيروس" ولد بليون سنة 188 م حكم مع أخيه" جيتا ثم تخلص منه لينفرد بالحكم في فيفري سنة 211 م عرف حكمه الكثير من الاضطرابات وتمرد الطبقات الغنية ضده توفي في أفريل 317 م،لمزيد من المعلومات ،أنظر:-

Dictionnaire Universel, d'histoire et de géographie, diriger par Bouillet(M.N.), Hachette et Cie , Paris,1857,p.p.308-309.

3 هـ. أيدرس بل، المرجع السابق، ص، 136.

4 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية... ص. ص. 22- 23.

5 GSELL(St.), l'Algérie dans l'antiquité…p.106

والزراعيين بالأرياف، وما يلاحظ على هذه الطبقة هو تماثلها في تركيبتها الاجتماعية المتساوية في البؤس والشقاء وتوحدها في كراهية مستغلها[1].

ولم تكن العملية الإنتاجية هي العصب الاقتصادي وحسب، بل أن تجارة العبيد قد شكلت هي الأخرى حركية في قلب التوازن الاقتصادي[2] الروماني في المغرب القديم بصفة عامة، و ذلك لأن الوثائق المتعلقة بالعبيد بينت أنه ورغم انخفاض سعر العبيد خلال أوائل القرن الثالث للميلاد إلا أن الضياع الكبرى التابعة للإمبراطور أو للملاكين الكبار كانت تضم عددا كبيرا من الرقيق، وانقسم الرقيق إلى عبيد المنازل، والذين يبدوا أنهم من أصول غير إفريقية، وعبيد الريف [3].

وتردت أوضاع الأهالي المعيشية وتحول الكثير منهم إلى الترحال أو إلى الجبال المحصنة حيث يعتكفون ويأكلون البذور الخضراء ولا يغيروا ألبستهم طول الفصول والمتكونة من سترة ومعطف خشنين [4] وذلك لأنهم فقدوا أراضيهم الخصبة أو لأن الرومان كانوا يستولون على إنتاجهم خاصة وأن المنتجات الجيدة كانت تقدم لملاك الأرض ولإدارة الأنونا، وخاصة القمح[5] مما يطرح الاحتمال بأن السكان قد توجهوا إلى زراعة بعض الغلال التي يُعرض عن تناولها أهل المدن أو أصحاب الأرض. ولا تدخل في قائمة "الأنونا" والضرائب التي كانت تقسم على موظفي الأباطرة المدنيين والعسكريين، وجزء منها يرسل إلى روما[6]

1 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ...ص.253.

2 Courtois(ch.), op-cit., p.150.

3 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ... ص. ص. 216– 250.

4 GSELL(St.), l’Algérie dans l’antiquité…p.p.96-97.

5 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ...ص. 231.

6 ALLAIS (Yvonne), « les Greniers publics de Djemila (Cuicul) », R.AF, N°74, 1933, p.268.

وفضل الكثير منهم البطالة والبؤس على العمل عند الرومان وما يمكن أن يوفره من يسر[1] وهذه القبائل التي صعدت إلى التلال الجبلية بدأت تنزل إلى السهول خلال القرن الثالث للميلاد ولكن بروح حربية واستمرت القبائل المستقرة والفقيرة تنظر بارتياب إلى الرومان[2]. وعلى العموم فإن سكان المغرب القديم - داخل منطقة الليمس- قد انقسموا من حيث النشاط إلى فلاحين تضرروا بفعل سياسة التوسع ومصادرة الأراضي من طرف الرومان، و إلى بدو شبه مستقرين، أجبرت الظروف الجديدة الكثير منهم على التحّول من الرعي إلى العمل الموسّمي و إلى بدو رحل يعتمدون على تربية الماشية والانتجاع في المناطق السهبية [3] .

ولتكتمل الرومنة الشاملة، سعت الإدارة الرومانية في بلاد المغرب القديم إلى نشر اللغة اللاتينية بين الأهالي، والعمل على فرضها عليهم باعتبارها اللغة المعبر عنها في جميع المؤسسات الرسمية والمحاكم والمجالس البلدية وكتائب الجيش وغيرها [4]. ورغم أن هذه اللغة الدخيلة بدأت تنتشر إلى جانب اللغة المحلية، إلا أن أغلبية الأهالي الذين تعلموها كانوا ينطقونها بصعوبة ويستخدمون تعابير غير سليمة،في حين اكتفى أغلبهم بلهجته القديمة وما يدل على ضعف استخدام هذه اللغة الدخيلة هي أخطاء النحو والكتابة التي حملتها الكثير من النقوش الجنائزية في الأرياف[5] .

1 GSELL (St.), l'Algérie dans l'antiquité…p. 98.

2 Camps, op-cit., p.280.

3 شنيتي(محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ...ص.ص . 235 -236.

4 عقون (محمد العربي)،"من إعلام المغرب القديم – القديس أغسطين "، الحوار الفكري، العدد 03، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، جوان 2002، ص. 119 .

5 GSELL (St.), l'Algérie dans l'antiquité…p. 86.

وذلك لأنه وابتداء من القرن الثاني للميلاد فرضت الإمبراطورية تعميم استعمال اللاتينية على السكان المحليين، وأقرتها كلغة رسمية، كما منعت الكتابة بدونها، وحرصت على نشرها بين الأهالي مما جعل الأغلبية منهم يجد صعوبة في نطقها[1]، وذلك داخل المدن والحواضر الاستيطانية فيما نعتقد، على اعتبار أن الأهالي الفلاحين والبدو ظلوا محافظين على لغتهم الأصلية، وهذا ما شكل عقبة أمام الإدارة الإمبراطورية، وأصحاب الأملاك من الرومان والذين كانوا يحتاجون إلى اليد العاملة [2] الأهلية، وأيضا لحاجتهم إلى التواصل مع الوطن الأم – روما- ولتعليم أبنائهم تم تشييد المدارس في أغلبية المدن النوميدية، مثل سيرتا ومداوروش وغيرهما، وتقوم هذه المدارس بتعليم القراءة وتفسير الأشعار والتاريخ وغير ذلك [3]. وكانت الإدارة تصادق على قرارات تسميات المعلمين مع إعفائهم من دفع الضرائب، وتمكنت هذه المدارس من تخريج العديد من الأطباء وفقهاء القانون إلى حد أن وصفت إفريقيا بأنها مرضعة المحامين [4].

وعمل المستوطنون الرومان من اجل أن تكون مدنهم أكثر شهرة في تكوين وتخريج الخطباء والنحويين الذين يُشَرِفُون سكان المدينة فيقيمون لهم التماثيل، وكانت المدارس تقام وتبنى داخل تلك المدن، والتي من أشهر أدبائها الخطيب "فرونتون" [5]، المولود بمدينة سرتا

1 الميلي (محمد بن مبارك)، المرجع السابق، ص. 214.

2 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ...ص. 234.

3 ALBERTINI (Eugène), op-cit., p.96.

4 GSELL(St.), l'Algérie dans l'antiquité…p. 80

5 فرونتون ولد في عهد تراجان في سيرتا التي تلقى بها تعليمه الأولي، ثم انتقل إلى قرطاج وروما، تميز بفصاحته، قال عن نفسه: -"إني ليبي من دين الليبيين البدو."، لمزيد من المعلومات أنظر: -قداش (محفوظ)، المرجع السابق، ص. 208.

خلال القرن الثاني للميلاد، وأيضا الأديب 'أبوليوس" [1] المولود بمداوروش، صاحب الروح الإبداعية المتميزة [2]، والذي أفصح عن أصله قائلا: -"أهلي الجيتوليين، أهلي النوميديين" [3] وترك "أبوليوس" مجموعة من القصص أشهرها قصة المسوخ المعروفة باسم الحمار الذهبي، والتي ألفها في حوالي عام 170م في مدينة قرطاج [4]، ولا ندري بأي لغة كتبها أ كان ذلك باللغة اليونانية أم باللغة اللاتينية، وكان خطيبا بارعا يتقن هاتين اللغتين باعترافه: "إني أنشئ في كل شيء، سواء باليونانية أم باللاتينية، بنفس الأمل ونفس الحماس ونفس الأسلوب" [5].

وساهمت المدن الاستيطانية الرومانية في نشر الثقافة اللاتينية والتي كانت موجهة للرومان وللذين نالوا حق المواطنة – فيما يبدو – وذلك لأن هذه المدن كانت تحتوي على أنصاب تذكارية، وتماثيل للأباطرة ونقوش إهدائية موجهة لهذه الفئة، وجدت بالشرق النوميدي [6]، وكانت هذه المدن بالإضافة إلى ما تحتويه من دكاكين وساحات وأسواق للبيع بالجملة وبالتجزئة ومزينة بالأقواس والمدرجات الجميلة المزخرفة من الداخل- مما يدل على تطور

---

1 أبوليوس ولد بمداوروش حوالي سنة 114 م من عائلة غنية، ولد بمداوروش التي تعلم بها، ثم انتقل إلى مدينة قرطاج ثم روما حيث درس المحاماة عاش في زمن الإمبراطور مارك –أورال، درس النحو على يد الأديب "فارو"،كما تأثر بخطب شيشرون ، ألف كتاب المسوخ المعروف بالحمار الذهبي في 11 كتابا وتزوج من امرأة غنية تمارس السحر ،لمزيد من المعلومات ،أنظر:-

Monceaux (Paul) ,Apulée(roman et magie),Maison Quentin ,Paris,S.D.p.p.1-8.

2 ALBERTINI (Eugène), op-cit., p.p . 96 - 98.

3 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ...ص. 186.

4 جوليان (شارل أندري)، المرجع السابق، ص.252.

5 نفسه، ص. 252.

6 -LESCHI (L.),« Recherches épigraphiques dans le pays de NEMAMCHA »,R.AF., N°72,1931, p.p.290-291.

فني النحت والزخرفة – كما تحتوي على قاعة اجتماعات المجلس المحلي والعديد من المعابد، كانت تحتوي على مسرح نصف دائري الشكل مخصص للجمهور وتقام فيه – بالإضافة إلى عروض السرك والمصارعة – عروض تمثيلية بموضوعات الملهاة والمأساة.

وهذه المدن محاطة بأسوار[1] في حين كان الأهالي خارج المدن ولا يستفيدون من هذه الخدمات التي تقدمها المدينة الرومانية لمواطنيها الرومان في الغالب .

6- الأوضاع الدينية في شمال إفريقيا غداة الاحتلال:

لم يعرف المغرب القديم وحدة دينية، وظلت الديانات الوثنية فيه تتعرض لمؤثرات قديمة وافدة (مصرية، فينيقية، إغريقية، ورومانية) [2] ومن المرجح أن أقدم عبادة عرفتها المنطقة حسب النصوص المتوفرة كانت عبادة الشمس وعبادة القمر، ذلك أن الأهالي من قبائل الأترانتس في الصحراء كانوا يلعنون الشمس نظرا لحرارتها الشديدة التي كانت ترهقهم[3]. وأشارت النصوص المتوفرة إلى أن السكان كانوا يعبدون الشمس إذ أنهم كانوا يتوجهون كل صباح إلى حيث تشرق ويحركون شفاههم[4] في إشارة إلى رفع الأدعية. كما كان الأهالي يقدمون الأضاحي إلى الشمس وذلك بأن يقوموا بقص جزء من أذن الحيوانات الأبكار من قطعانهم، ويرمون بهذا الجزء وراء مساكنهم ثم يلوّون عنق الأضحية [5] وذلك طمعا في دفع الأرواح الشريرة ولكي يتكاثر أعداد القطيع[6].

1 ALBERTINI (Eugène) , op- cit. , p.p .83-85.
2 Courtois (ch.),op.cit.,p.p,128-129.
3 GSELL (St.), HÈRODOTE, p,185.
4 TERTULLIEN ,Apologétique ,établi et traduit par WALTZING (Jean Pierre), coll « les belles lettres »,Paris,1938,XVI,10,38 ;11,39.
5 HÈRODOTE,188,27.
6 غانم (محمد الصغير)، "بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب القديم"، الحوار الفكري، العدد ،02، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، ديسمبر 2001، ص، 65.

ووجدت آثار نقوشية من المحتمل أنها ترجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد في الصحراء الغربية (ما بين مصر وليبيا) تبيّن رسمًا لكبش يحمل فوق رأسه قرص شمس محاط بثعبانين في إشارة إلى الإله "آمون رع "(1) (2). كما وجدت معتقدات دينية محلية – قبل الاتصال الفينيقي – تمثلت في طقوس استدرار المطر والخوف من عقاب الآلهة بالجفاف، فاظهر المغاربة ضعفهم وخضوعهم لتلك الآلهة التي تسكن –حسب اعتقاد المغاربة- السماء والأماكن العالية مثل قمّم الجبال(3)، وكانت الأقداس تقام في سماء مفتوحة حسب عادات الساميّين حيث أقام السكان أماكن للمعابد (4) .

ويبدو أن سكان المغرب القديم كانوا يقدسون الكهوف والمغارات التي كانوا يسكنوها ، ولايستبعد أن يكون اسم أفريقيا الذي ظهر خلال الفترة الرومانية مأخوذا من تسمية محلية لإله الكهوف إفري ثم تم تعميمه على القارة بأكملها(5).

وكانت الديانة الوثنية في المغرب القديم عبارة عن خليط من الخرافات ومن السحر والاعتقاد في الآلهة الكبرى المستوحاة من التأثيرات الأجنبية القادمة مع الفينيقيين(6) وذلك

---

1 الإله "آمون"، معبود من أصل سامي أو مصري انتشر بمناطق الواحات الكبر، يحمل رأس كبش من المحتمل أنه عبر الصحراء الليبية إلى منطقة المغرب القديم، للمزيد، ويسمى عند الليبيين "أمان" وتعني الماء شاعت عبادته أثناء حكم الفرعون "أمنفيس الرابع" الذي أمر بإقامة معبد له ثم صار يمثل سيد الآلهة كما شاعت عبادته في عهد" الإسكندر الأكبر". لمزيد من المعلومات، أنظر: -

Dictionnaire des Grecques et Romaine, diriger par Daremberg, T.IV,10eme Partie, Librairie Hachette, Paris,1877,p.230.

2 GSELL (St.),HÈRODOTE ,p,185.

3 غانم (محمد الصغير)،"بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد الغرب القديم"... ص، 61.

4. GSELL (St),l’Algérie dans l’antiquité…p, 87

5 غانم (محمد الصغير)،"بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب القديم"... ص.61 – 62.

6 BERTHIER(André), op.cit., p,33.

ما بّينته النقوش النذرية البونيقية الكثيرة الأهمية الكبرى لعبادة الإله "بعل حمون" خلال الفترة الرومانية والذي ينظر إليه كإله شمسي، وبين ذلك نقش إهدائي من الشواهد الكثيرة التي وجدت بمكثر (بتونس الحالية)، والذي حمل صورة كبيرة للشمس محاطة بالأشعة (1). وفي مدينة سيرتا عاصمة نوميديا كان "بعل حمون"(2) هو الإله الأول كأكبر إله محلي ثم تليه "تانيت بني بعل"(3)، وأشارت النصب الجنائزية والنقوش النذرية إشارات دينية بونيقية كالهلال ومثلث" تانيت بني بعل"(4) ويرجع تاريخها إلى ما بين القرنين الثاني و الأول قبل الميلاد،وعلى نذور أخرى ترجع إلى الفترة الرومانية مكتوبة بالحروف النيوبونيقية (5). مما يدل على محدودية انتشار اللغة الرومانية بالمنطقة في نظرنا وكان القرطاجيون قد قدموا الأضاحي البشرية من أبنائهم إلى مذبح الإله "بعل حمون" إبتغاء لإرضائه (6)، وكان النوميديون أيضا يقدمون لمعبودهم أضاحي آدمية (7)، ولاحظ "ترتليانوس" أن الأضاحي البشرية كانت منتشرة في المغرب القديم وترك لنا وصفا للأب الذي يقدم ابنه بنفسه للنحر كأضحية، ويقوم الأب بملاطفة ابنه لكي لا يبكي، رغم ما تحمله هذه الحالة من أسى وخاصة وأن القتل يتم

---

1 GSELL(St.), Histoire Ancienne de l’Afrique du Nord,T.IV,(La civilisation carthaginois), oTTo zeler verlag osna brűok ,1972 ,p ,285 .

2 بعل حمون، إله يحتمل أنه انتقل إلى أفريقيا ليصبح الإله السيد،وأكبر إله أفريقي، وتليه تانيت بني بعل ، يظهر بعل حمون أقرن، له قرنان كقرني الكبش وبجسم بشري.لمزيد من المعلومات أنظر:- -GSELL (St.),H.A.A.N.,T. IV ,p.282.

3 BERTHIER(André), op.cit., p,33

4 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، ...ص، 263.

5 GSELL (St.), H.A.A.N., T. IV, p.278.

6 Diodor de Secile , XX ,14 , 4.

7 -GSELL (St.), H.A.A.N., T.IV, p.289.

في فلذة الكبد[1]،و منع الرومان هذه الطريقة ، واستبدلت بأضحية حيوانية ممثلة في الخروف أو "المالخمور" باللغة البونية [2].

وكانت عادة التضحيات البشرية ليست مقتصرة على المغاربة وحسب، بل كانت من الشعائر المعتادة في جهات كثيرة في حوض البحر المتوسط عند المجتمعات الوثنيّة في كل من اليونان وروما، واستمرت بهذه العادة إلى غاية القرن الأول قبل الميلاد، وإن كانت هذه العادة فردية وإرادية ولا يرغم أحد على أدائها، فإنها كانت شعيرة رسمية ترعاها الدولة وتسهر على إقامتها، وكان "بعل حمون" لا يرضى بغير الأضاحي البشرية – في نظر معتقديه[3] ولأن النقوش النذرية كانت مُهداة في سيرتا إلى "بعل حمون" وإلى" تانيت بني بعل"[4] مما يدل على انتشار هذه العادة أيضا في سيرتا، فإن الأضاحي كانت بتقديم دماء الأطفال الصغار الذين لازالوا أطهارا، وذلك لأن الدم الطاهر يُطهر المُضحي من خطاياه[5] حسب الاعتقاد السائد. وقّدّس سكان المغرب القديم بعض الحيوانات مثل الكبش و الأسد و الثور قرزيل، كما عبدوا القردة غرب مدينة قرطاج[6] واستمرت عبادة الآلهة المحلية وكذا الجن و المغارات والأشجار والجبال و لحيوانات وتقديس الملوك القدماء، ويذكر المؤرخ شارل أندريه جوليان أنه وجد نقوشا لبعض من الآلهة القديمة [7] كما كانوا يعبدون الأصنام [8]. ولم تنقطع عبادة

---

1 Tertullien, IX, 2-4,21

2 BERTHIER (André), l'Algérie et son passé, édition, (A.) et (J.) Picard, Paris,1951, p. 93

3 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية...ص. 260

4 - GSELL(St.) ,H.A.A.N.,T.IV, p, 295.

5 Tertullien, IX ,8,22.

6 غانم (محمد الصغير)،" بعض من ملامح الفكر الوثني في بلاد المغرب القديم"... ص. 64.

7 جوليان (شارل أندري)، المرجع السابق، ص. ص، 253 – 254.

8 Tertullien , XV , 3 , 37.

الآلهة المحلية القديمة، واحتفظت بأسمائها خلال الفترة الرومانية وكان كهنة هذه الديانات يقومون بنقش إهداءات الشواهد النصيّة التي كانت تنحت وتذكر بالقرابين[1].وخلال فترة الاحتلال الروماني وفدت إلى المغرب القديم آلهة جديدة ومنها الإله "ساتورن" [2]كإله يعتقد بأنه سيد العالم ولا يغلب وبأنه في نظر معتقديه موجود في السماء والنجوم، وينبت الحصيد ويعطي للأرض الثمار، ولكن الوثنية الإغريق ورومانية ظلت متميزة ومنفصلة رغم أن "ساتورن" كان يسعى لوراثة الإله القرطاجي" بعل حمون" [3] وتواصل الاعتقاد في "ساتورن" حتى القرن الرابع الميلادي ولم تتمكن المسيحية من القضاء على جذوره بسهولة [4]، ومن الآلهة الأخرى الوافدة أيضا عبادة الإله "جوبيتر" ودل على ذلك نقش إهدائي وجد في منطقة القنطرة بالجنوب الأوراسي يطلب الازدهار للإمبراطور «كركلا" والأسرة السيفييرية[5] .كما انتشرت عبادة الإمبراطور الروماني.

ولعل أول من كرس هذه العبادة الإمبراطور "أغسطس" مؤسس الإمبراطورية الذي اتخذ لنفسه كنيّة الرب، ليأخذ هذا اللقب الأباطرة من بعده [6]، ولما فرض هذه العبادة في المغرب القديم كغيره من المناطق الخاضعة للإمبراطورية، وافتتحت لها أجهزة رسمية تتألف من مجلس الكهان الأعلى في عاصمة المقاطعة، ويرأسه كاهن كبير يدعى" ساكورديروس" ويكون مسؤولا أمام الإمبراطور عن حسن سير هذه العبادة[7] والمتمثلة في تقديم

1 GSELL(St), l’Algérie dans l’antiquité…p. 83.
2 Tertullien ,X,7,26.
3 BERTHIER (André), l’Algérie et son passé…p.83.
4 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ...ص، 263.
5 ALBERTINI (André), « inscriptions d’EL-KANTRA et la région », R.AF., N°72, 1931, p. 31.
6 Tertullien, XXXIV,1- 3, 74.
7 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ...ص. 263.

الأضاحي للإمبراطور[1]، وذلك بإقامة الموائد في الساحات العامة ويكون ذلك بإقامة المآدب في كل أحياء المدينة وتقدم هذه الموائد على شرف القياصرة وتتحول المدينة إلى مطعم[2]، وينال الفقراء ما يشبع شهواتهم من بقايا الموائد بهدف التأثير عليهم[3] والظاهر أن عبادة الإمبراطور كانت عبادة سياسية لا دينية[4]، ذلك أنها ظلت في الغالب محصورة في المدن وبالتالي مخصوصة للرومان ومن والاهم من الأهالي وأصحاب الامتيازات، في حين بقي الأهالي مخلصين لمعتقداتهم القديمة في تقديم الأضاحي والقرابين لمعبوداتهم البونيقية التي تواصلت في الأرياف وبين أفراد الطبقة الاجتماعية الدنيا، وكانت كل المعتقدات تنصب – تقريبا – على فكرة التوحيد والتي رمز إليها "بعل حمون" القرطاجي، ثم "ساتورن" الروماني– الإفريقي.

الخاتمة:

سعت روما منذ بداية الاحتلال إلى التوسع في بلاد المغرب القديم وإن كان ذلك ببطء نظرا لجهلها بكوامن المنطقة، وعدم معرفتها بتضاريسها وردة سكانها، مما جعلها تستخدم أسلوب التريث تارة والتحالف مع بعض القبائل تارة أخرى، لتتمكن من السيطرة بعد مقاومات شرسة، وتخضع المجال والكثير من القبائل لخدمة اقتصادها الذي وجد دفقا كبيرا من المنطقة التي أدركت أهميتها فسعت من أجل رومنتها في محاولة منها لاستلاب كل مقومٍ يشد السكان بتميزهم الحضاري.

---

1 Tertullien, X 1, 25.
2 Ibid., XXXV,2,75.

3 شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية...ص.263.

4 الميلي (محمد بن المبارك)، المرجع السابق، ص. 215.